

عادات العرب في الجاهلية وأثرها في فهم القرآن الكريم

أ. باي بن زيد

جامعة تلمسان - الجزائر

ملخص البحث باللغة الانجليزية

Customs of Arabs in ignorance era and their impact on understanding Quran

Qur'an was revealed to the Prophet " peace be upon him, " in a simplified, understood Arabic with conformity to their customs and their way of using it.

Among the most important issues that the exegete of Quran should acquire to interpret Quran understands the Arab customs of understanding the revelation the time it was revealed or he will fall into problematic issues that will not be solved without that necessary knowledge.

This research shows the importance of studying the Arab customs and referring to it in the interpreting of Quran and shows how exegetes used this understanding in their interpretations; then giving some examples of the mistakes of those who didn't refer to the Arab custom knowledge in their interpreting.

مقدمة:

أنزل القرآن الكريم على النبي " صلى الله عليه وسلم " على معهود لسان العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها ومعهود كلامهم وعاداتهم وأساليبهم في الفصاحة والإيجاز وجوامع الكلم، والإعراض عما لا يحتاج إلى البيان.

يقول الطبري رحمه الله: " غير جائز أن يخاطب . جلَّ ذِكْرُه . أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المحاطب، ولا يرسل إلى أحدٍ منهم رسولاَ برسالةٍ إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمه المرسلُ إليه " .

وعليه فمن الأمور اللازمة للمفسر حتى يفهم مراد القرآن، ويعي مرماه، أن يدرك عادات العرب التي نزل القرآن ليتحدث عنها، تلك التي تمثل لهم حياتهم الخاصة، التي تتميز عن حياة

من سواهم، وتنفرد ببعض الخصائص والسمات، التي راعاها القرآن الكريم، ووضعها في حسابانه وهو يأمرهم وينهاهم، ويعظهم، ويرشدهم، ويوجههم إلى الصراط المستقيم.

وهذا ما نجده عند كبار المفسرين من الصحابة الكرام، حيث يستأنسون . عند تفسير القرآن الكريم . بمعرفتهم للعادات العربية، وحث الناس على اعتمادها دليلاً على صحة مذهبهم في التفسير، هذا ابن مسعود عند تفسير قوله تعالى: " خِتَائُهُ مِسْكٌ "، يقول: " ليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعت المرأة من نسائك تقول: طيبُ كذا وكذا خلطه مِسْكٌ ؟ " .

الإشكالية:

- 1: ما مدى أهمية الإمام بعادات العرب والاستدلال بها في تفسير كتاب الله؟
 - 2: ما مدى إعمال أهل التفسير لعادات العرب في تفاسيرهم ؟
 - 3: ما حجم الأخطاء التي وقع فيها بعض من استغنى عن هذا الأصل في تفسيرهم لكتاب الله؟
- من خلال الإشكال أمكنني تقسيم الخطة إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- سيق المبحث الأول لبيان أهمية الإمام بعادات العرب والاستدلال بها في تفسير كتاب الله؛ ويحوي مطلبين.
- وجاء المبحث الثاني لإظهار إعمال أهل التفسير لعادات العرب في تفاسيرهم ؛ ويحوي بدوره مطلبين.
- أما المبحث الثالث فكان عبارة عن نماذج تطبيقية لأخطاء من استغنوا في تفاسيرهم عن عادات العرب؛ وحوى مطلبين.

المبحث الأول: أهمية الإمام بعادات العرب والاستئناس بها في تفسير كتاب الله.

المطلب الأول: مفهوم عادات العرب في الجاهلية لغة واصطلاحاً.

1- مفهوم عادات العرب في اللغة: يقول ابن فارس: " العين والواو والdal أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما: على تشبیه في الأمر، والآخر جنس من الخشب ... والعادة: الدُّربة والتمادي في شيء حتى يصير له سجية، ويقال للمواظب على الشيء: المعاود " ¹

وقال الراغب: " العَوْدُ: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافاً بالذات، أو بالقول والعزيمة قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٧) المؤمنون: ١٠٧ ... والعادة اسم لتكرير الفعل والانفعال، حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه كالطبع، ولذلك قيل: العادة طبيعة ثانية"².

وقال ابن منظور: " العادة الديدن يعاد إليه"³.

2- العادة في الإصطلاح: قال الجرجاني: " العادة: ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرّة بعد أخرى"⁴ وعرفها ناصر بن محمد بن عبد الله الماجد بـ " السلوك المتكرر الذي تمارسه جماعة من الناس " ⁵

3- تعريف الجاهلية في اللغة: قال الرازي في الصحاح: " الجهل: ضد العلم، وقد جهل من باب فهمٍ وسلّم، وتجاهل أرى من نفسه ذلك وليس به (أي الجهل). واستجهله: عدّه جاهلاً، واستخفه أيضاً، والتجهيل: النسبة إلى جهل " ⁶.

4- تعريف الجاهلية في الإصطلاح: عرفها ابن الأثير بقوله: " الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر، والتجبر، وغير ذلك " ⁷

وعرفتها نحلة بنت محمد الناصر أنها "الحالة المخالفة لما أراد الله التي كان عليها الناس قبل مجيء الهدى لهم " ⁸.

فتبين مما سبق أن المقصود بعادات العرب في الجاهلية ما كانت تفعله جماعة من الناس باستمرار وتكرر من غير نكير، سواء كان لعقيدة أو خلق أو معاملة، وسواء وافقه الإسلام أو عارضه.

المطلب الثاني: دور الإلزام بعادات العرب والاستئناس بها في التفسير.

إن مما يحتاجه المفسر حتى يفقه مقصود القرآن ويعي مرماه أن يدرك عوائد العرب التي نزل القرآن الكريم ليتحدث عنها تلك التي تمثل لهم حياتهم الخاصة التي تتميز عن حياة من سواهم؛

وتنفرد ببعض الخصائص والسمات التي راعاها القرآن الكريم، وهو يأمرهم وينهاهم ويعظهم ويرشدهم ويوجههم إلى سواء السبيل. كأقوالهم وأفعالهم، وخصائص حياتهم الاجتماعية وأيامهم وحروبهم وتاريخهم وأديانهم.

فقد حوى الكتاب الكريم آيات تتعرض إلى بعضها، فإذا لم يكن المفسر عارفاً بأحوالهم حالة التنزيل لم يستطع أن يفهم معاني الآيات ولا أن يتذوقها، أو يدرك الأثر البالغ لكتاب الله في تغيير حياة العرب، وإبطال الفاسد من عاداتهم.⁹

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: " معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها وبحاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثمَّ سبب خاص لابد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة ".¹⁰

ويقول الطبري: " غير جائز أن يخاطبَ جلَّ ذِكْرُه أحدًا من خلقه إلا بما يفهمه المخاطبُ، ولا يرسل إلى أحدٍ منهم رسولاً برسالةٍ إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمه المرسلُ إليه؛ لأن المخاطبَ والمرسلَ إليه إن لم يفهم ما خوطبَ به وأرسل به إليه فحالُه قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواء؛ إذ لم يُفدِ الخطابُ والرسالةُ شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً، والله جلَّ ذِكْرُه يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالةً لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه؛ لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث، والله تعالى عن ذلك مُتَعَالٍ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤) إبراهيم: ٤؛ وقال لَنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦٤) النحل: 64. فغير جائز أن يكون به مهتدياً، من كان بما يُهدى إليه جاهلاً "¹¹.

فمعرفة الجوانب الاجتماعية والعادات العربية التي نزلت فيها آيات من القرآن الكريم من الأهمية بمكان لإدراك مرامي القرآن الكريم ومقاصده ووسائله ودراسة المفسر لها وإلمامه بها تفتح له أبواباً من الفهم ومدارك متعددة من المعارف.

وقد أورد الطاهر بن عاشور -رحمه الله- شيئاً من ذلك في مقدماته للتفسير وأنكر على من عد معرفة أخبار العرب شيئاً من اللغو فقال: "وأما أخبار العرب فهي من جملة أدبهم وإنما خصصتها بالذكر؛ تنبيهاً لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها؛ لأن القرآن إنما يذكر القصص والأخبار للموعظة والاعتبار لا لأن يتحدث الناس بها في الأسواق فبمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت إليه الآيات من دقائق المعاني فنحو قوله تعالى ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا وقوله قتل أصحاب الأخدود يتوقف على معرفة أخبارهم عند العرب" ¹².

وإلى هذا المعنى يشير محمد رشيد رضا رحمه الله في مقدمته وهو يتناول الحديث عن مراتب التفسير، حيث يذكر أن أعلى مراتب التفسير لا تتم إلا بأمور ومقومات منها معرفة: "علم أحوال البشر، فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب، وبين فيه ما لم يبينه في غيره . بين فيه كثيراً من أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهية في البشر، قص علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنته فيها . فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم، من قوة وضعف، وعز وذل، وعلم وجهل، وإيمان وكفر، ومن العلم بأحوال العالم الكبير علويه وسفليه، ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه" ¹³؛

ثم يضيف قائلاً: "أنا لا أعقل كيف يمكن لأحد أن يفسر قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا يَنْتَهُمُ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ٢١٣. وهو لا يعرف أحوال البشر، وكيف اتحدوا، وكيف تفرقوا؟ وما معنى تلك الواحدة التي كانوا عليها؟ وهل كانت نافعة أم ضارة؟ وماذا كان من آثار بعثه النبيين فيهم" ¹⁴.

وعليه فلا يمكن أن يتم فهم الكتاب المبارك إلا بهذا الاعتبار الذي يعطي للمفسر تصوراً واضحاً عن حال الناس وعاداتهم وطبائعهم وقت نزول القرآن؛ حتى يكون الفهم فهماً سديداً بعيداً عن الانحراف أو الخطأ.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لإعمال أهل التفسير لعادات العرب في تفاسيرهم .

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لإعمال أهل التفسير لعادات العرب القولية في تفاسيرهم .

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (٢٩) الدخان: ٢٩ .

قال القرطبي رحمه الله: " أي: لكفرهم . وما كانوا منظرين أي: مؤخرين بالغرق . وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض، أي: عمت مصيبتة الأشياء حتى بكته السماء والأرض والريح والبرق، وبكته الليالي الشتاتيات .

قال الشاعر (يزيد بن مفرغ الحميري) :

فالريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة

وقال (جرير) :

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

وقالت الخارجية (ليلى بنت طريف الشيباني) :

أيما شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف
وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه . والمعنى أنهم
هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فقد " 15 .

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا

رَبِّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٧) الشورى: ٧ .

وقال كذلك: ﴿وَلَنُفِثَنَّ فِي أُمِّ الْقَيْسِ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٌ﴾ (٤) الزخرف: ٤ .

من عادة العرب أن تسمي أصل الشيء بلفظ "أم" ؛ وعليه فأصل القرى: أصل القرى وهي مكة المكرمة؛ وسميت بذلك إجلالا لها¹⁶.

ومثاله في الآية الثانية: أي أصل الكتاب وقد يراد به اللوح المحفوظ.

المثال الثالث:

قال الله تعالى: ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٥].

قال القاسمي رحمه الله: " إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً أَي مَحْنَةٍ وَعَذَابًا لِلظَّالِمِينَ إِنَّمَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلَعَهَا أَي حَمَلَهَا كَأَنَّهٗ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ أَي مِثْلَ مَا يَتَخِيلُ وَيَتَوَهَّمُ مِنْ قَبْحِ رُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، فَهِيَ قَبِيحَةُ الْأَصْلِ وَالشَّمْرِ وَالْمَنْظَرِ وَالْمَلَمَسِ " ¹⁷.

ثم أورد قولاً للزمخشري: " وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر. لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير. فيقولون في القبيح الصورة (كأنه وجه شيطان) (كأنه رأس شيطان) وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله. كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه. فشبهوا به الصورة الحسنة. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ يوسف: ٣١، وهذا تشبيه تخيلي " ¹⁸

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لإعمال أهل التفسير لعادات العرب الفعلية في تفاسيرهم .

المثال الأول:

قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: ١٨٩.

قال القرطبي: "... وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجل منهم بالحج فإن كان من أهل المدر - يعني من أهل البيوت - نقب في ظهر بيته فمنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه، وإن كان من أهل الوبر - يعني أهل الخيام - يدخل من خلف الخيام الخيمة، إلا من كان من الحمس" ¹⁹.

فلولا معرفة سبب النزول، وبيئة المتلقي، وعاداته ما أمكن فهم معنى الآية.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ^(٥٩) قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ^(٦٠) ﴿ الذاريات: ٥٩ - ٦٠ .

قال الزمخشري: " الذنوب: الدلو العظيمة، وهذا تمثيل، أصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب. قال الشاعر:

لَنَا ذُنُوبٌ وَلَكُمْ ذُنُوبٌ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ

ولما قال عمرو بن شاس:

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطَتْ بِنَعْمَةٍ فَحُقَّ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبُ

قال الملك: نعم وأذنبه؛ والمعنى: فإن الذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون. " ²⁰

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لأخطاء من استغنوا في تفاسيرهم عن عادات العرب.

المطلب الأول: أمثلة عن بعض أخطاء من استغنوا عن العادات الفعلية في تفاسيرهم .

المثال الأول: ضرب المثل بالنار الموقدة عند العرب:

قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ ^(١٧) ﴿ البقرة: ١٧ .

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المقصود بـ: (الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) هو المنافق، وأن: (الَّذِي) في المثال بمعنى الذين، وأن: (اسْتَوْقَدَ) بمعنى أوقد، وأنه لما أَضَاءَتْ النار مَا حَوَّلَ المنافق والمنافقين، طفئت وبقي المنافق والمنافقون في الظلام متحيرين خائفين، كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها واعتزّوا بعزّها وناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظلمة، وهووا في العذاب والنقمة.²¹

والملاحظ هنا أنه حين أغفل أهل التفسير معهود كلام العرب في ضرب هذا المثل، لم يعطوا صورة واضحة وصحيحة لدلالة هذا التمثيل.

النار في معهود الخطاب العربي في هذا التمثيل، هي نار القرى والضيافة والهداية، وهي من أعظم مفاخر العرب، وهي النار التي تُرْفَع للمسافرين، ولمن يلتمس القرى.

وكان الرجل من العرب إذا تحيّر في ظلام الليل المطبق في الأرض القفر الخالية فلم يدّر أين البيت أو الطريق يستغيث، يطلب بذلك الهداية ممن يغيثه وممن يسمعه من الناس ليستنقذه من هول الليل، فتكون رؤيته للنار التي أوقدها المستوقد في مكان عال هداية له للطريق وللقرى.

ومعهود العرب في استيقاد النار أن صيغة * أس ت * في * استوقد نارا * للطلب على الحقيقة.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ٧٠. هود: ٧٠.

قال أبو جعفر الطبري: " يقول تعالى ذكره: فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به، والطعام الذي قدّم إليهم، نكرهم، وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم، فيما ذكر، كفّوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله. وكان إمساكهم عن أكله، عند إبراهيم، وهم ضيّفانه مستنكرا. ولم تكن بينهم معرفة، وراعه أمرهم، وأوجس في نفسه منهم خيفة"²².

ثم يقول رحمه الله: "حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة)، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم ينجى بخير، وأنه يحدث نفسه بشر²³.

وقال كذلك: "حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل، عن الأسود بن قيس، عن جندب بن سفيان قال: لما دخل ضيف إبراهيم عليه السلام، قرب إليهم العجل، فجعلوا يكتئون بقداح في أيديهم من نبل، ولا تصل أيديهم إليه، نكرهم عند ذلك²⁴ فمن خلال تفسير الطبري، وعامة التفاسير الضمير المتصل (الهاء) في جملة " لا تصلُ إِلَيْهِ " يعود إلى العجل.

غير إننا نجد زللا كبيرا لمن ليس له قدم في معرفة طبائع العرب وعاداتهم وأسلوب كلامهم حين يفسر هذه الآية وينسب الضمير إلى إبراهيم كما هو الشأن بالنسبة للمستشرق سافاري حيث ذهب إلى أن الضمير يعود إلى سيدنا إبراهيم ؛ توهم أنه مد يده ليصافح الضيوف، ولكنهم حين لم يمدوا أيديهم ليصافحوه، نكرهم وعلم أنهم غريباء فأوجس منهم خيفة.

غير أن من له دراية بعادات العرب، علم أن من عادة العرب تقدم الطعام إلى الضيف، وإذا لم يأكل الضيف منه: حسب المضيف أنه يريد شراً.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية عن بعض أخطاء من استغنوا عن العادات القولية في تفاسيرهم .

.المثال الأول: الفرق بين الخلف في الوعد والإخلاف في الوعيد عند العرب.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

قال الإمام البغوي: " وقيل في قوله تعالى: " فجزأؤه جهنم خالدا فيها معناه: هي جزأؤه إن جازاه ولكنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له بكرمه، فإنه وعد أن يغفر لمن يشاء.

حكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: هل يخلف الله وعده؟ فقال: لا فقال: أليس قد قال الله تعالى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها . فقال له أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أتيت يا أبا عثمان ! إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفاً وذماً، وإنما تعد إخلاف الوعد خلفاً وذماً، وأنشد:

وإني وإن أوعدتـــــــــــــــــه أو وعدتـــــــــــــــــه لمخلف إيعادي ومنجز موعدي²⁵ .

زلت قدم بعض فَمَن لم يحتج بعادة العرب عند التفسير ههنا، وقع في خطأ عقدي عند تفسيره للآية؛ لأن ظاهر الآية الكريمة يفيد وعيد الله عزّ وجلّ بخلود مَن يقتل أخاه المسلم في النار إن مات بغير توبة، وهذا يخالف أصول أهل السنة بأنه مرتكبٌ لكبيرةٍ، ومرتكب الكبيرة لا يُخلَّد في النار إن مات على الإيمان؛ لأن عادة العرب مدح منجز الوعد، وذم مُخلفه، ولكنها تمدح مخلف الوعيد ولا تذمه.

المثال الثاني: مفهوم الأمين عند العرب:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) البقرة: ٧٨.

قال الطبري رحمه الله في بين مفهوم الأمين بعد أن رد قول المخالف الذين قالوا بأنهم أناس من اليهود " أميون لا يقرءون الكتاب " ²⁶.

معللاً ذلك: " وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن " الأمي " عند العرب: هو الذي لا يكتب " ²⁷.

خاتمة:

يمكن تلخيص أهم النتائج فيما يلي:

- ❖ معرفة معهود الخطاب من أضمن الوسائل للوصول إلى مقاصد المتكلم به.
- ❖ يمكن اعتبار عادات العرب وأحوالهم عند نزول القرآن قرينة للترجيح بين أقوال المفسرين

الإجتهاذبة .

❖ يمكن اعتبار عادات العرب وأحوالهم عند نزول القرآن من مرجحات دفع التعارض بين النصوص.

فهرس المصادر والمراجع.

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- الكتب المطبوعة:

- ✓ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة - مادة (عَوَدَ) - ت: عبد السلام محمد هارون - لبنان - بيروت - دار الجيل.
- ✓ الحسين بن محمد الأصفهاني - مفردات ألفاظ القرآن - مادة (عَوَدَ) - ت: صفوان عدنان داوودي - دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت - ط.2- 1418هـ = 1997م .
- ✓ محمد بن مكرم بن منظور - لسان العرب - مادة: (عَوَدَ) - لبنان - بيروت - دار صادر - ط.1.
- ✓ علي بن محمد الجرجاني - التعريفات - لبنان - بيروت - دار الفكر -- ط.1- 1418هـ 1997م.
- ✓ أبو بكر الرازي - مختار الصحاح - مادة: جَهَلٌ - ت: محمود خاطر - لبنان - بيروت - ط.1- 1415هـ 1995م.
- ✓ ابن الأثير محمد الجزري - النهاية في غريب الحديث والأثر - مادة: جَهَلٌ - ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ✓ الشاطبي - الموافقات في أصول الشريعة - ت: محمد الإسكندراني وعدنان درويش - لبنان - بيروت - دار الكتاب العربي - ط.1- 1424هـ = 2002م.
- ✓ علي بن سليمان العبيد - تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه - المملكة العربية السعودية - الرياض - مكتبة التوبة - ط.1- 1418هـ = 1998م.
- ✓ الطبري محمد بن جرير - جامع البيان في تأويل آي القرآن - لبنان - بيروت - دار الفكر - 1405 هـ.
- ✓ محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير - تونس - الدار التونسية للنشر - (د.ط)- 1984 .
- ✓ محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم - المشهور بتفسير المنار - بيروت - دار المنار للطباعة والنشر - ط.1- 1366هـ - 1948 م .
- ✓ القرطبي محمد بن أحمد - الجامع لأحكام القرآن - ت: أحمد بن أحمد البردوني - مصر - القاهرة - دار الشعب - ط.2- 1372هـ.
- ✓ محمد جمال الدين الفاسمي - محاسن التأويل - ت: عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - ط.1- 1376هـ -

1956م.

✓ البغوي الحسين بن مسعود- معالم التنزيل-ت: محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش- دار طيبة- ط.

2- الرسائل الجامعية:

✓ ناصر بن محمد بن عبد الله الماجد - عادات أهل الجاهلية . دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم . (رسالة ماجستير) .

✓ نهلة بنت محمد الناصر - عقائد أهل الجاهلية في ضوء القرآن الكريم وموقفه منها (رسالة ماجستير) .

3- المجلات والدوريات:

✓ عبد الفتاح أحمد خضر- عادات العرب القولية في ضوء القرآن الكريم- مقال * مجلة البحوث * - العدد: 6.

الهوامش:

1: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة - مادة (عَوَدَ) - ت: عبد السلام محمد هارون - لبنان - بيروت - دار الجيل- ج: 4- ص: 181.

2: الحسين بن محمد الأصفهاني- مفردات ألفاظ القرآن - مادة (عَوَدَ) - ت: صفوان عدنان داوودي - دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت - ط.2- 1418هـ = 1997م - ص: 593.

3: محمد بن مكرم بن منظور - لسان العرب - مادة: (عَوَدَ) - لبنان- بيروت- دار صادر - ط.1- ج: 9- ص: 459.

4: علي بن محمد الجرجاني - التعريفات - لبنان - بيروت - دار الفكر - ط.1- 1418هـ = 1997م - ص: 104 .
5 : ناصر بن محمد الماجد - عادات أهل الجاهلية . دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم . (رسالة ماجستير) - ص: 14.

6: أبو بكر الرازي - مختار الصحاح - مادة: جَهَلْ -ت: محمود خاطر - لبنان - بيروت- ط.1- 1415هـ = 1995م - ج: 1-ص: 49 .

7: ابن الأثير محمد الجزري - النهاية في غريب الحديث والأثر - مادة: جَهَلْ -ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي- دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان- ج: 1- ص: 323 .

8: نهلة بنت محمد الناصر - عقائد أهل الجاهلية في ضوء القرآن الكريم وموقفه منها (رسالة ماجستير) - ص: 17.

9: ينظر: علي بن سليمان العبيد - تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه - المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة التوبة - ط.1- 1418هـ = 1998م- ص: 97.

- 10: الشاطبي - الموافقات في أصول الشريعة - ت: محمد الإسكندراني وعدنان درويش - لبنان - بيروت - دار الكتاب العربي - ط.1 - 1424 هـ = 2002 م - ص: 629.
- 11: الطبري محمد بن جرير - جامع البيان في تأويل آي القرآن - لبنان - بيروت - دار الفكر - 1405 هـ - ج: 1 - ص: 29.
- 12: محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير - تونس - الدار التونسية للنشر - (د.ط.) - 1984 - ج: 1 - ص: 25.
- 13: محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم - المشهور بتفسير المنار - بيروت - دار المنار للطباعة والنشر - ط.1 - 1366 هـ - 1948 م - ج: 1 - ص: 20.
- 14: نفس المصدر - نفس الصفحة.
- 15: القرطبي محمد بن أحمد - الجامع لأحكام القرآن - ت: أحمد بن أحمد البردوني - مصر - القاهرة - دار الشعب - ط.2 - 1372 هـ - ج: 7 - ص: 130.
- 16: عبد الفتاح أحمد خضر - عادات العرب القولية في ضوء القرآن الكريم - مقال * مجلة البحوث * - العدد: 6 - ص: 40.
- 17: محمد جمال الدين القاسمي - محاسن التأويل - ت: عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - ط.1 - 1376 هـ - 1956 م - ج: 8 - ص: 211.
- 18: نفس المصدر - نفس الصفحة.
- 19: تفسير القرطبي - ج: 2 - ص: 321.
- 20: الزمخشري - تفسير الزمخشري - مصر - دار المعرفة - ج: 4 - ص: 21.
- 21: ينظر: تفسير الطبري - ج: 1 - ص: 319.
- 22: تفسير الطبري - ج: 07 - ص: 146.
- 23: نفس المصدر - نفس الصفحة .
- 24: نفس المصدر - نفس الصفحة .
- 25: البغوي الحسين بن مسعود - معالم التنزيل - ت: محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش - دار طيبة - ط.4 - 1417 هـ - 1997 م - ج: 2 - ص: 266.
- 26: تفسير الطبري - ج: 2 - ص: 259.
- 27: نفس المصدر - نفس الصفحة.